



أرنوب يستولى على أغنام تعلوب

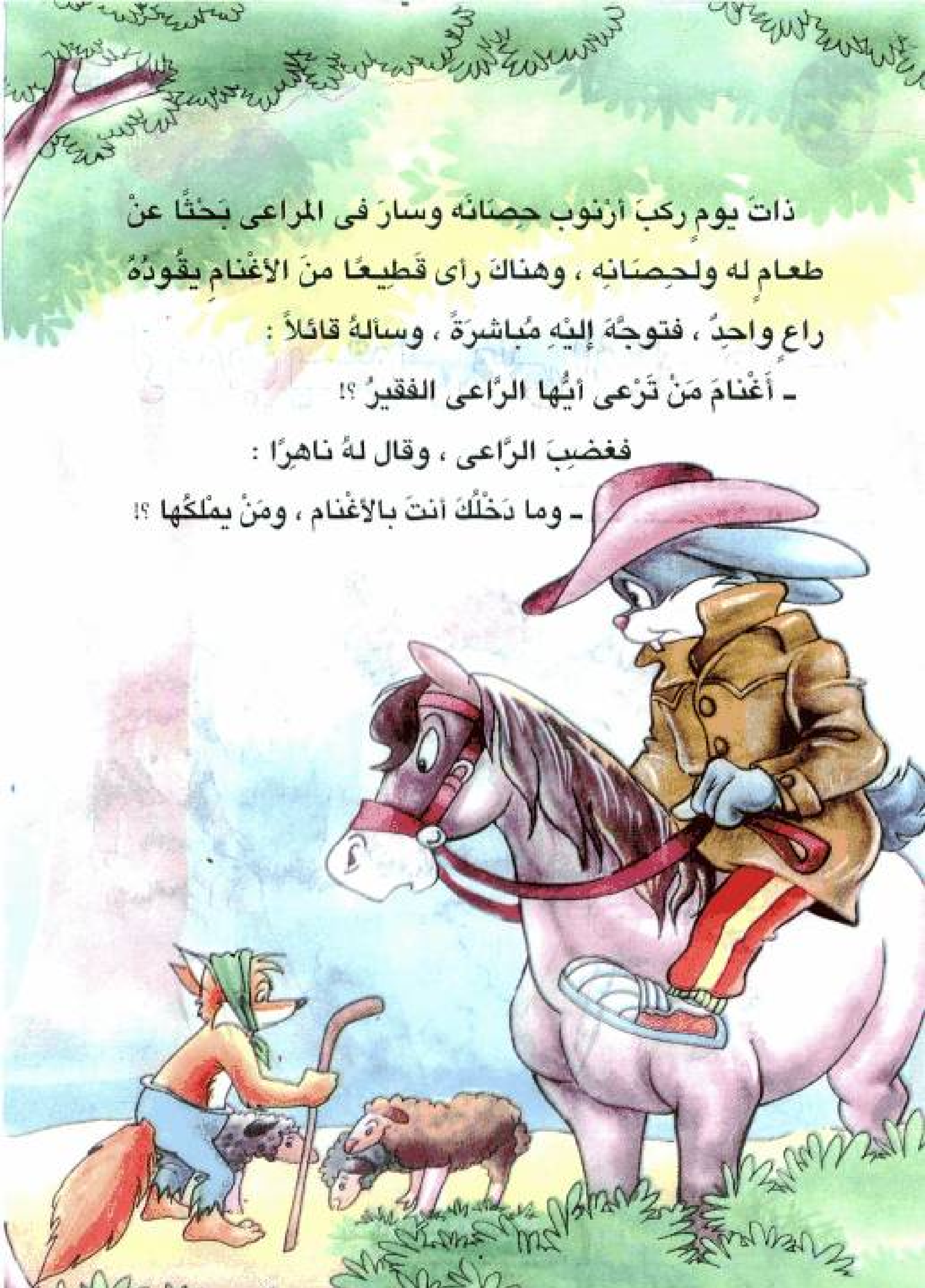
بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

بريشة : عبد الشافى سيد

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

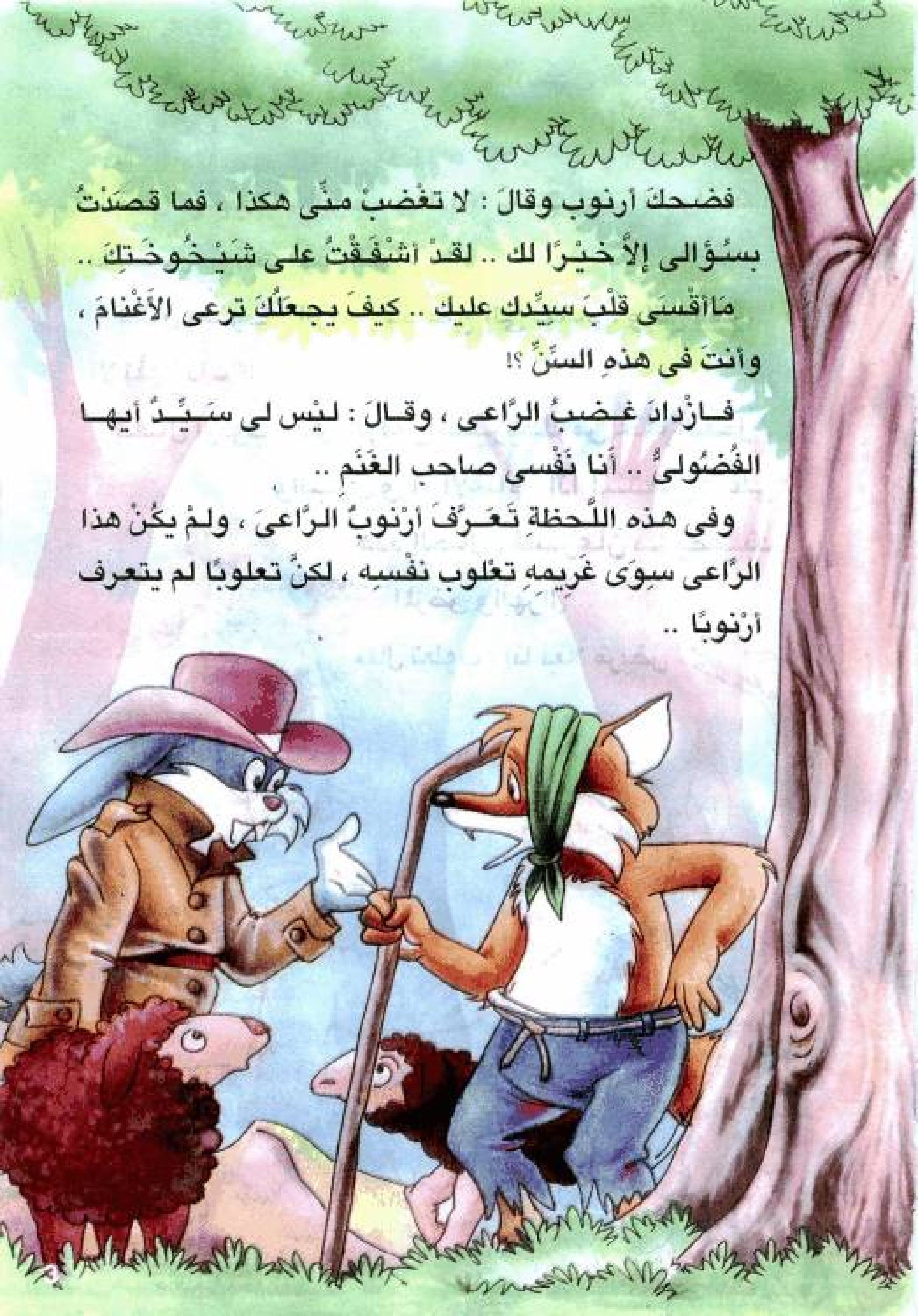


ذاتَ يومٍ ركبَ أرنوبُ حِصَانَه وسارَ فى المراعى بَحْثًا عنْ طعامٍ له ولحِصَانِه ، وهناكَ رأى قَطِيعًا منَ الأغْنامِ يقُودُهُ راعٍ واحِدٌ ، فتوجَّهَ إليْهِ مُباشرَةً ، وسألهُ قائلاً :

ـ أَغْنامَ مَنْ تَرْعى أيُّها الرَّاعى الفقيرُ ؟!

فغضِبَ الرَّاعى ، وقال لهُ ناهِرًا :

ـ وما دَخْلُكَ أنتَ بالأغْنام ، ومَنْ يمْلكُها ؟!



فضحكَ أرنوب وقالَ : لا تغْضبْ منِّى هكذا ، فما قصَدْتُ بسُؤالى إلاَّ خيْرًا لك .. لقدْ أشْفَقْتُ على شَيْخُوخَتِكَ .. مَاأقْسَى قلْبَ سيِّدِك عليك .. كيفَ يجعَلُكَ ترعى الأَغْنامَ ، وأنتَ فى هذهِ السِّنِّ ؟!

فـازْدادَ غـضـبُ الرَّاعـى ، وقـالَ : ليْس لى سَـيِّـدٌ أيـهـا الفُضُولىُّ .. أنا نَفْسي صاحب الغَنَمِ ..

وفى هذه اللَّحظةِ تَعَـرَّفَ أرْنوبُ الرَّاعىَ ، ولمْ يكُنْ هذا الرَّاعى سِوَى غَرِيمهِ تعْلوب نفْسِه ، لكنَّ تعلوبًا لم يتعرف أرْنوبًا ..



قــال أرْنوبٍ لِتــغْلوبَ : ولماذا لا تَسْتــأجِرْ لك راعــيًــا يا سَيِّدى ، وأنت بهذا الثَّراء ؟!

فقال تغْلوبَ : الرَّاعى يحتــاجُ إلى طَعَامٍ ، وإلى أجْر .. ألا تفْهَمُ ذلك ؟!

فقــال أرْنوبِ : لكنَّ الرَّاعــى سَيُريحُك منْ عَناءِ العــملِ ، والجرْىِ وراءَ الأغْنام . إذا اسْتَمْرَرْتَ على هذه الحــالِ ، فسُرْعانَ مــا يُصيبُكَ المرضُ والْهُزَالُ ..

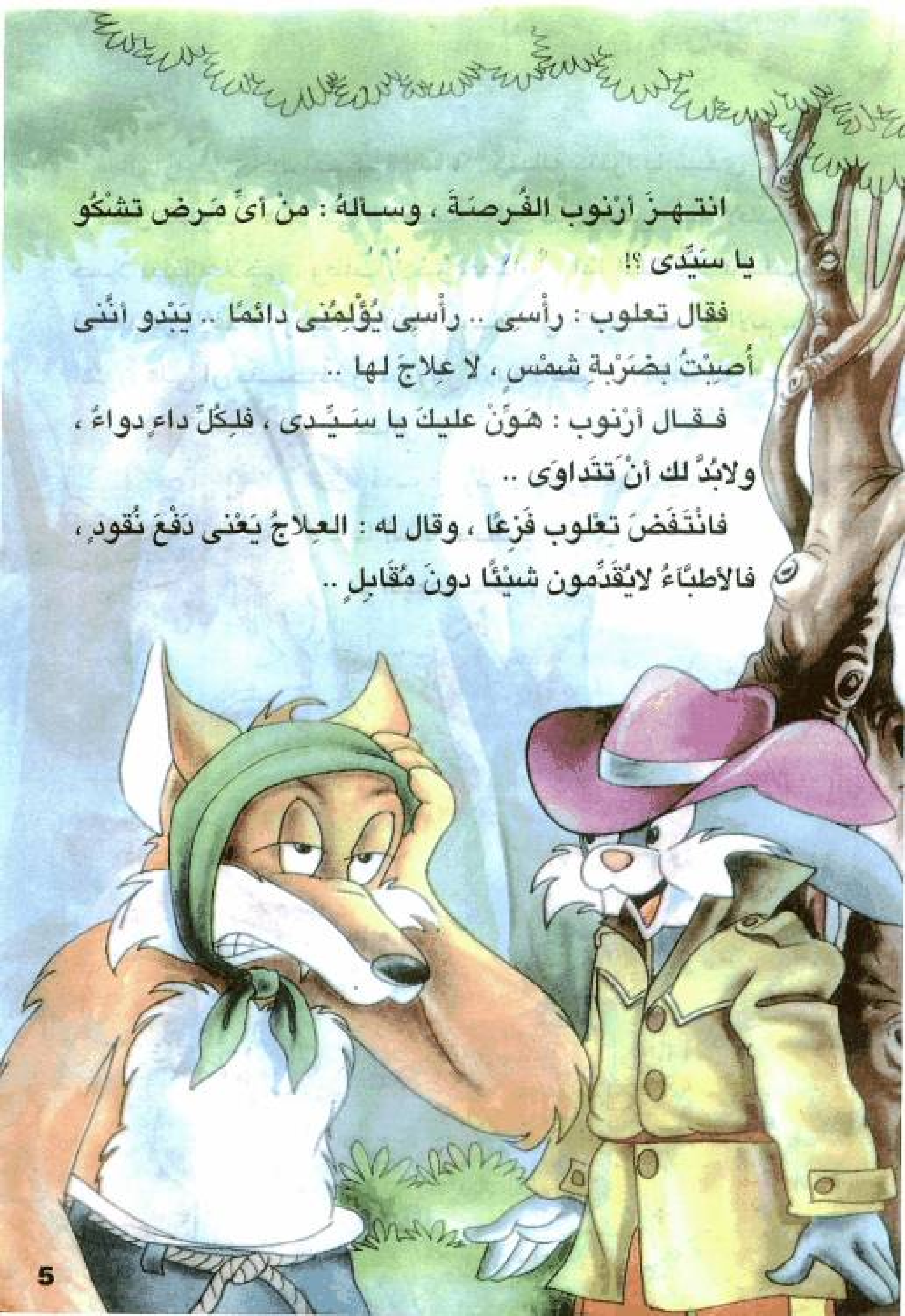
فقال تغلوبَ : أنا فِعْلاً مَريض ..

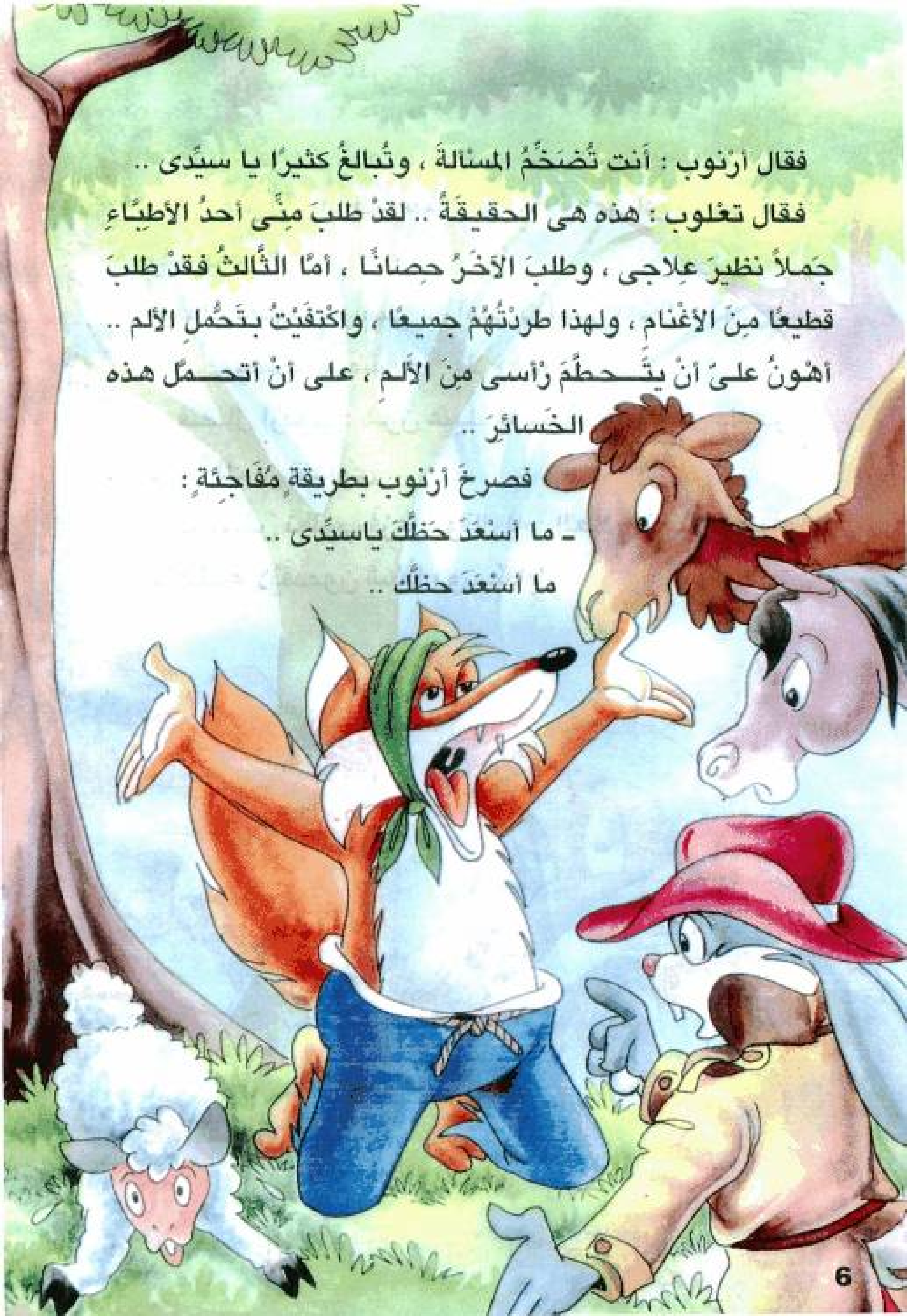
انتهزَ أرْنوب الفُرصَةَ ، وسألهُ : منْ أىِّ مَرض تشْكُو يا سَيِّدى ؟!

فقال تعلوب : رأسِى .. رأسِى يُؤْلِمُنى دائمًا .. يَبْدو أنَّنى أُصِبْتُ بضَرْبَةِ شمْسٍ ، لا عِلاجَ لها ..

فقال أرْنوب : هَوِّنْ عليكَ يا سَيِّدى ، فلِكُلِّ داءٍ دواءٌ ، ولابُدَّ لك أنْ تتَداوَى ..

فانْتَفَضَ تعْلوب فَزِعًا ، وقال له : العِلاجُ يَعْنى دَفْعَ نُقودٍ ، فالأطبَّاءُ لايُقَدِّمون شيْئًا دونَ مُقابِلٍ ..





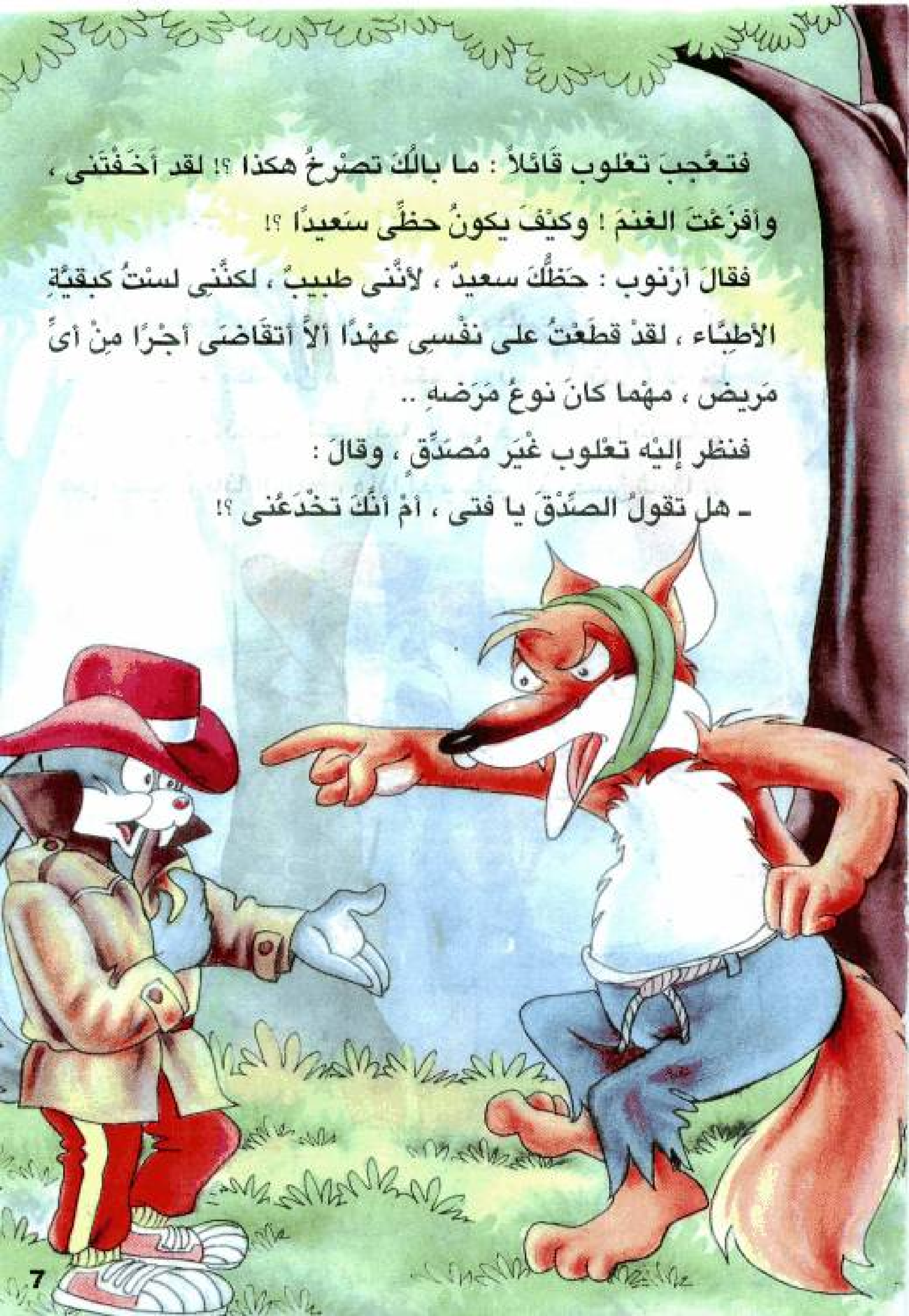
فقال أرنوب : أنت تُضخِّمُ المسألةَ ، وتُبالغُ كثيرًا يا سيدى ..

فقال تعلوب : هذه هى الحقيقةُ .. لقدْ طلبَ منِّى أحدُ الأطباءِ جملاً نظيرَ علاجى ، وطلبَ الآخرُ حصانًا ، أمّا الثالثُ فقدْ طلبَ قطيعًا منَ الأغنامِ ، ولهذا طردتُهمْ جميعًا ، واكتفيتُ بتحمُّلِ الألم .. أهونُ علىَّ أنْ يتحطَّمَ رأسى منَ الألمِ ، على أنْ أتحمّلَ هذه الخسائرَ ..

فصرخَ أرنوب بطريقةٍ مُفاجئةٍ :

ـ ما أسعدَ حظَّكَ ياسيدى ..

ما أسعدَ حظَّك ..

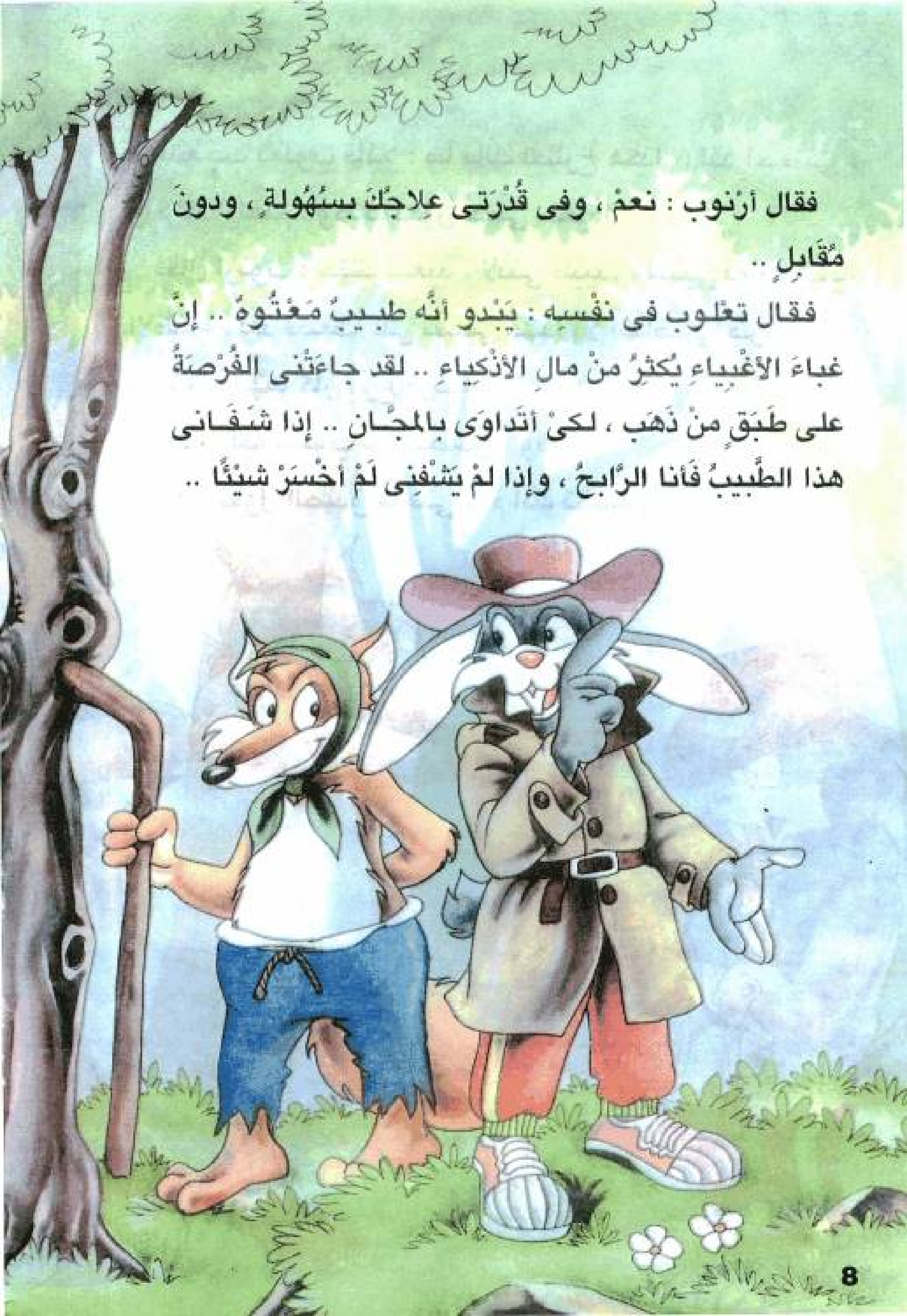


فتعَجبَ تعْلوب قَائلاً : ما بالُكَ تصْرخُ هكذا ؟! لقد أخَفْتَنى ، وأفزَعْتَ الغنَمَ ! وكيْفَ يكونُ حظِّى سَعيدًا ؟!

فقالَ أرْنوب : حَظُّكَ سعيدٌ ، لأنَّنى طبيبٌ ، لكنَّنِى لسْتُ كبقيَّةِ الأطِبَّاء ، لقدْ قطعْتُ على نفْسِى عهْدًا ألاَّ أتقَاضَى أجْرًا مِنْ أىِّ مَريض ، مهْما كانَ نوعُ مَرَضِه ..

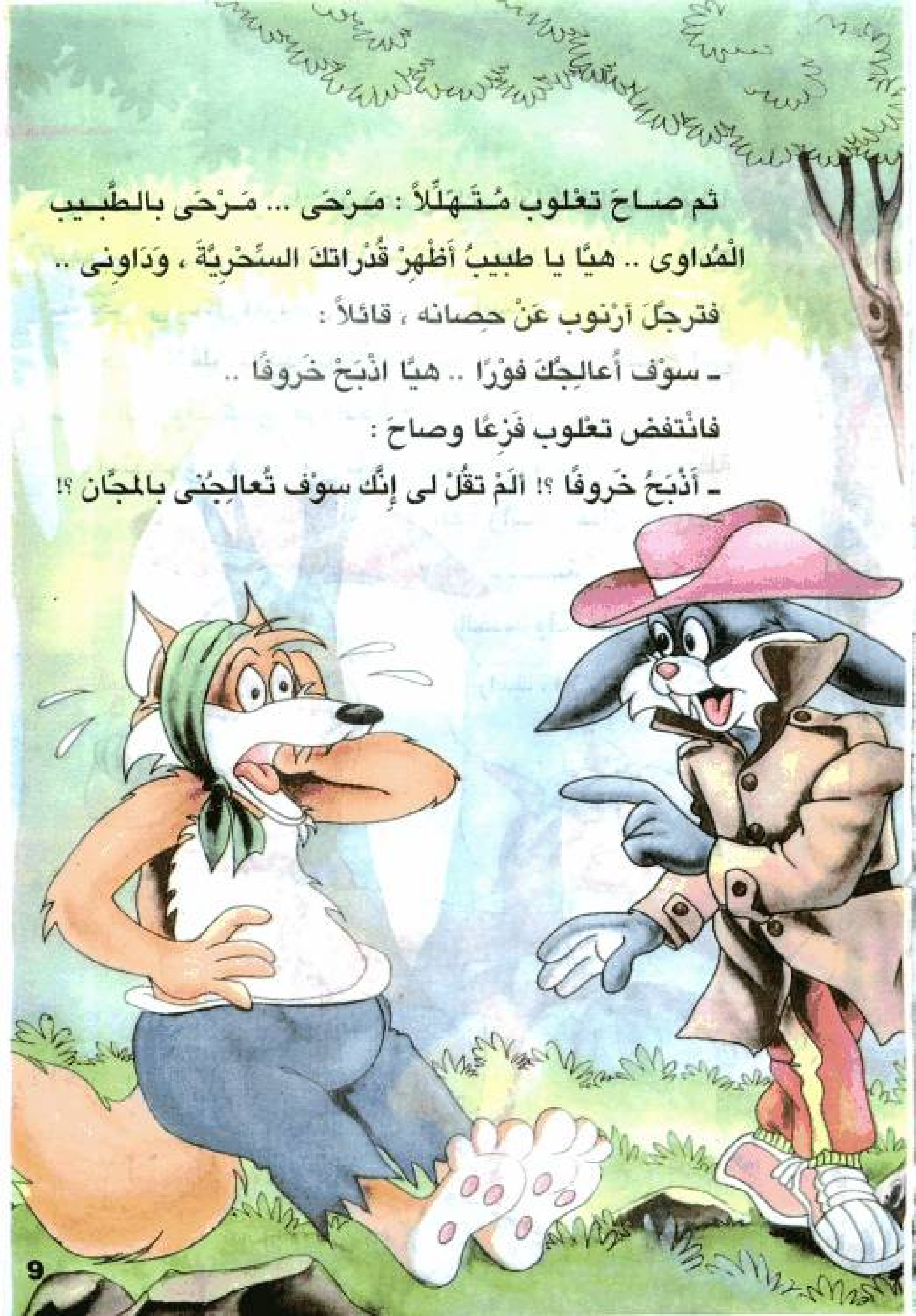
فنظر إليْه تعْلوب غيْر مُصَدِّقٍ ، وقالَ :

ـ هل تقولُ الصِّدْقَ يا فتى ، أمْ أنَّكَ تخْدَعُنى ؟!



فقال أرْنوب : نعمْ ، وفى قُدْرَتى عِلاجُكَ بسُهُولةٍ ، ودونَ مُقَابِلٍ ..

فقال تعْلوب فى نفْسِهِ : يَبْدو أنَّه طبيبٌ مَعْتُوهٌ .. إنَّ غباءَ الأغْبِياءِ يُكثِرُ منْ مالِ الأذْكياءِ .. لقد جاءَتْنى الفُرْصَةُ على طَبَقٍ منْ ذَهَب ، لكىْ أتَداوَى بالمجّانِ .. إذا شَفَانى هذا الطَّبيبُ فَأنا الرَّابحُ ، وإذا لمْ يَشْفِنى لَمْ أخْسَرْ شيْئًا ..



ثم صاحَ تغْلوب مُـتـهلِّلاً : مَـرْحَى ... مَـرْحَى بالطَّبـيب الْمُداوى .. هيَّا يا طبيبُ أَظْهِرْ قُدْراتكَ السِّحْرِيَّةَ ، وَداوِنى ..

فترجَّلَ أَرْنوب عَنْ حِصانه ، قائلاً :

ـ سوْف أُعالِجُكَ فوْرًا .. هيَّا اذْبَحْ خَروفًا ..

فانْتفض تغْلوبِ فَزِعًا وصاحَ :

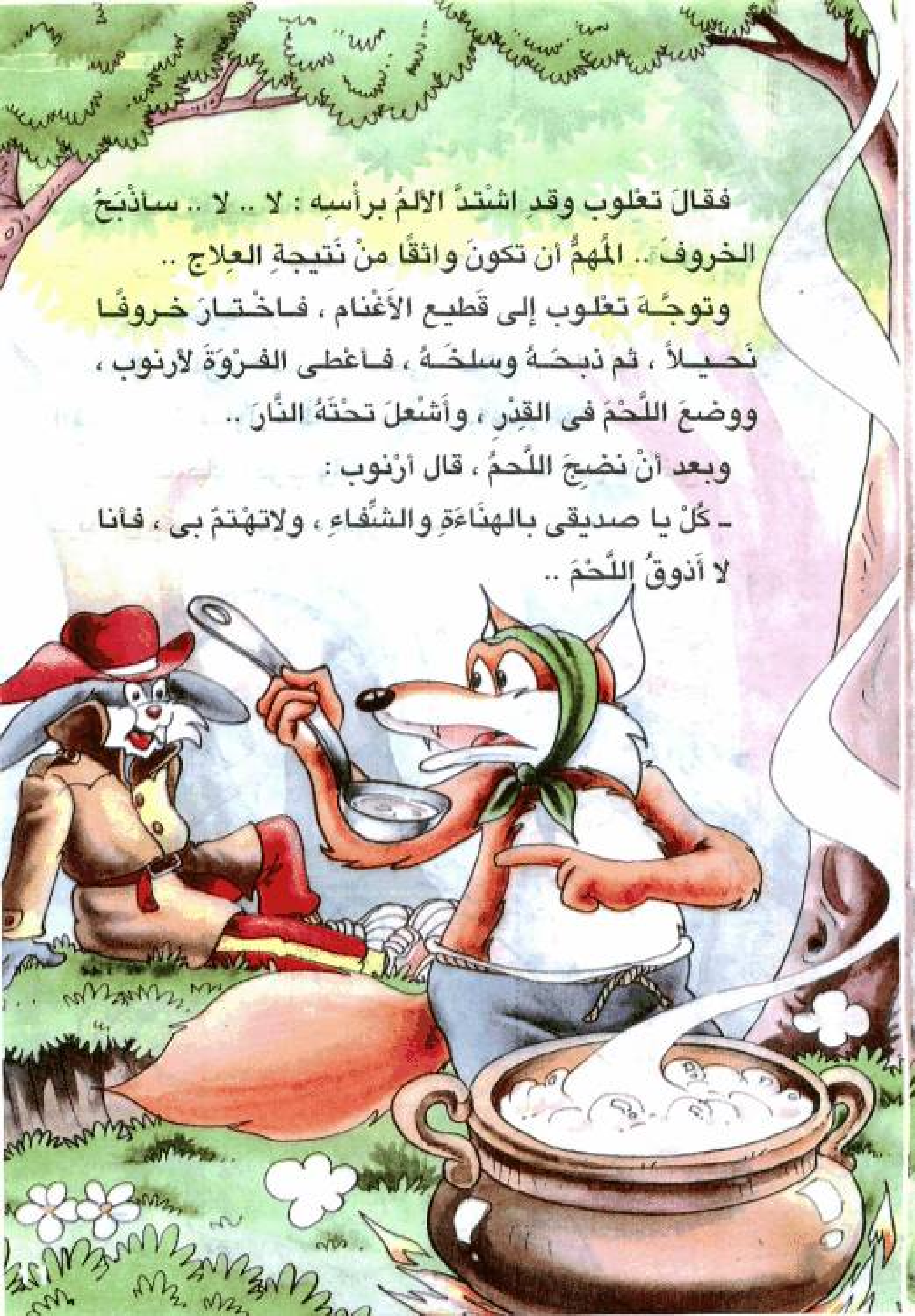
ـ أَذْبَحُ خَروفًا ؟! أَلَمْ تقُلْ لى إِنَّك سوْف تُعالِجُنى بالمجَّان ؟!



فقالَ أرْنوب : وأنا عندَ وعْدِى لك .. أنا لا أطْلبُ شيْئًا لِنفْسى ، بلْ إنَّ هذا منْ أجْلِ علاجِكَ ، فقبْلَ أنْ أبْدأَ العِلاجَ ينْبغى أنْ يأكلَ المريضُ شيْئًا منَ اللّحْم ، وخاصّةً لحْمَ الْغنَم ، وإلا فلَنْ يُفيدَ العلاجُ شيئًا .. ثم إنَّنى أحْتاجُ إلى فرْوةِ الخروفِ كجزْءٍ منَ العلاج ..

واسْتَغْرقَ تعْلوب فى تفكيرٍ صامتٍ ، وفى تلك اللّحْظةِ آلمهُ رأسُهُ ، فقال أرْنوب :

ـ حسَنً .. إذا كانَ الخروفُ أغْلَى عنْدك منْ رأسِكَ ، فلا داعِيَ للْعلاج ..

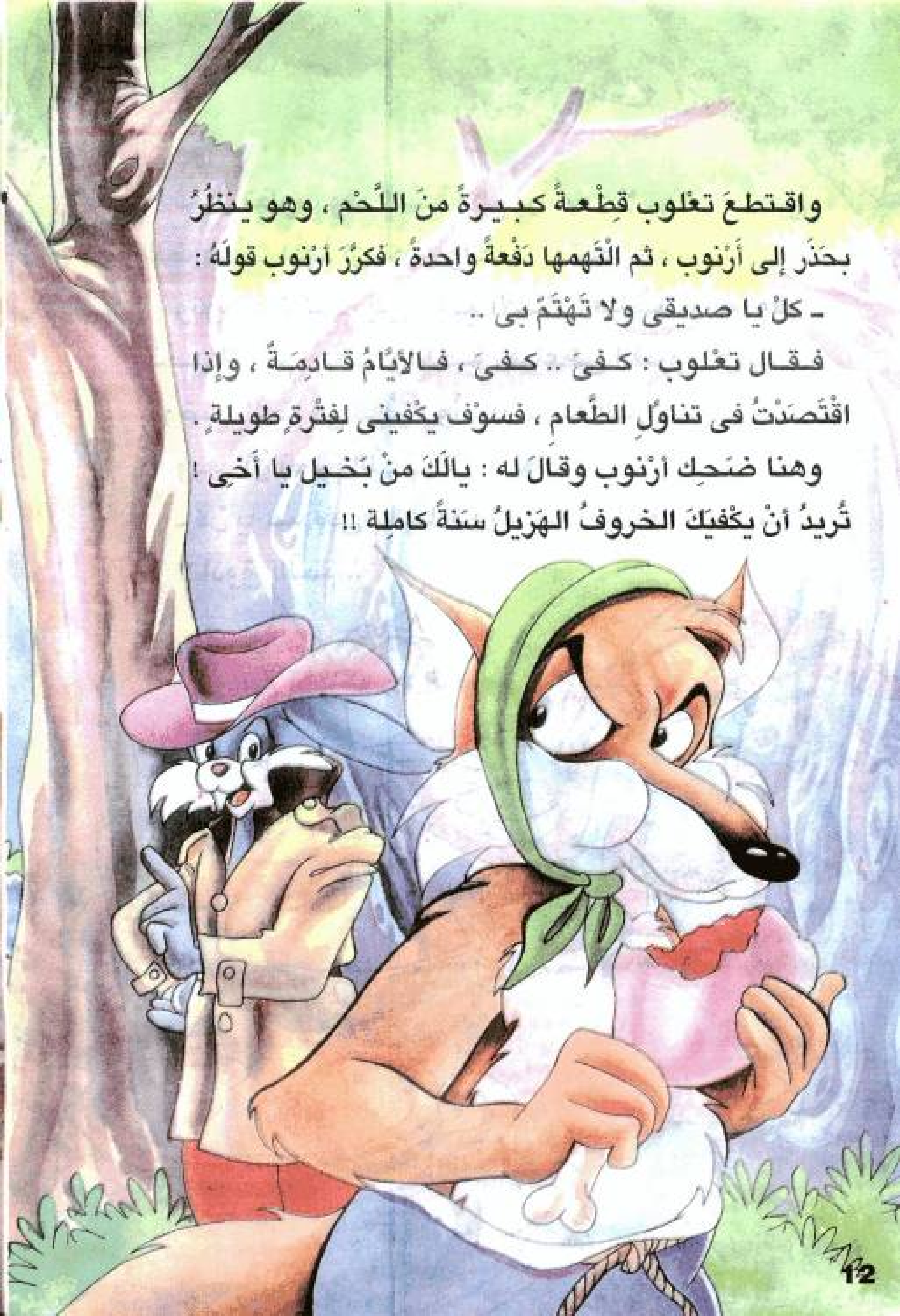


فقالَ تعْلوب وقدِ اشْتدَّ الألَمُ برأسِه : لا .. لا .. سأذبَحُ الخروفَ .. المُهمُّ أن تكونَ واثقًا منْ نَتيجةِ العِلاج ..

وتوجَّهَ تعْلوب إلى قَطيعِ الأغْنام ، فاخْتارَ خروفًا نَحيلاً ، ثم ذبحَهُ وسلخَهُ ، فأعطى الفرْوَةَ لأرنوب ، ووضعَ اللَّحْمَ فى القِدْرِ ، وأشْعلَ تحْتَهُ النَّارَ ..

وبعد أنْ نضِجَ اللَّحمُ ، قال أرْنوب :

- كُلْ يا صديقى بالهنَاءَةِ والشِّفاءِ ، ولاتهْتمَّ بى ، فأنا لا أذوقُ اللَّحْمَ ..

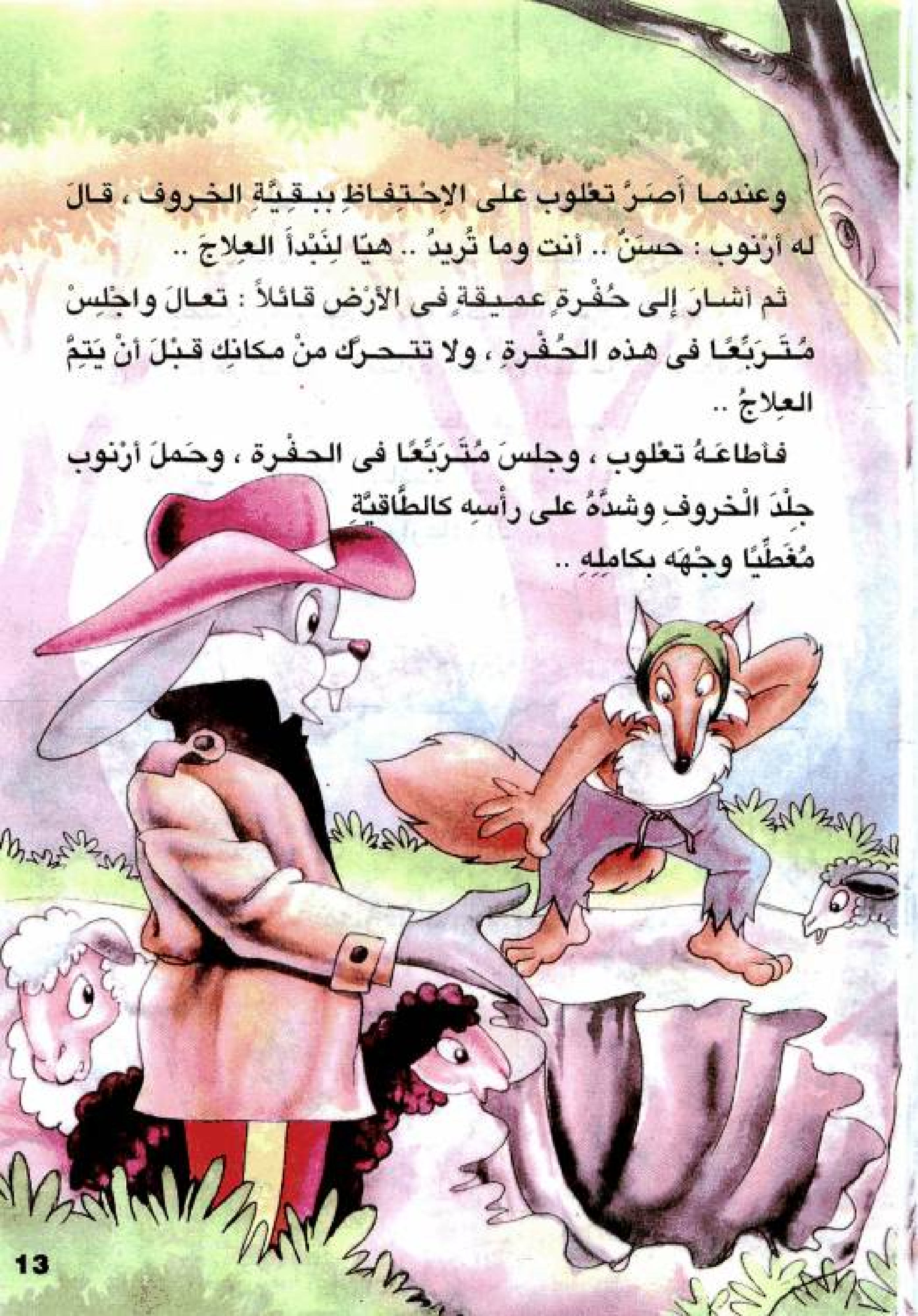


واقتطعَ تعْلوبِ قِطْعةً كبيرةً منَ اللَّحْمِ ، وهو ينظرُ بحذَرٍ إلى أَرْنوب ، ثم الْتَهمها دَفْعةً واحدةً ، فكرَّرَ أرْنوبِ قولَهُ :

ـ كلْ يا صديقى ولا تَهْتَمَّ بى ..

فقال تعْلوبِ : كفَى .. كفَى ، فالأيَّامُ قادِمَةٌ ، وإذا اقْتَصَدْتُ فى تناوُلِ الطَّعامِ ، فسوْفَ يكْفينى لِفتْرةٍ طويلةٍ .

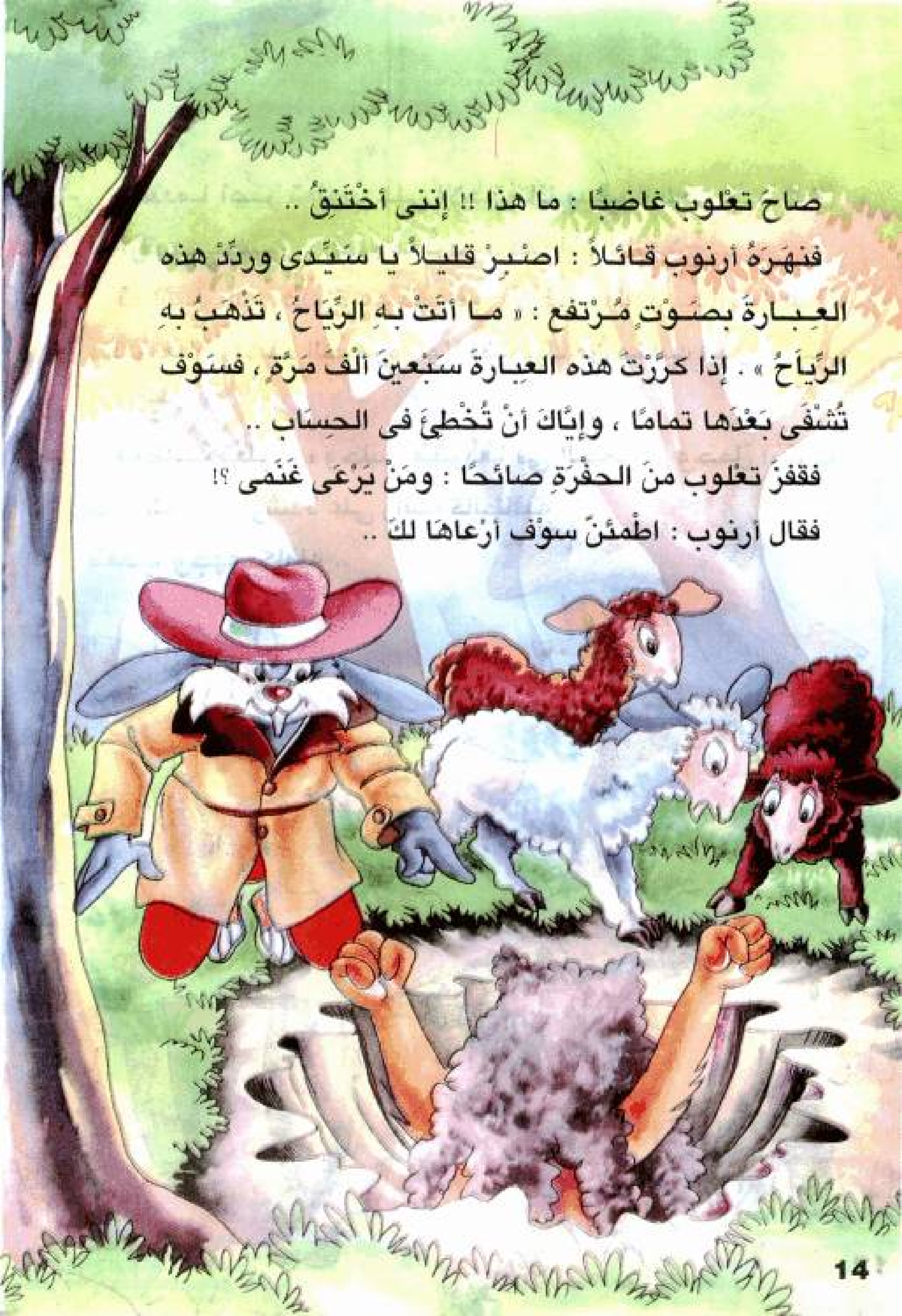
وهنا ضَحِكَ أرْنوب وقالَ له : يالَكَ منْ بَخيلٍ يا أَخِى ! تُريدُ أنْ يكْفيكَ الخروفُ الهَزيلُ سَنةً كاملِة !!



وعندما أَصَرَّ تعْلوبُ على الاحْتِفاظِ ببقِيَّةِ الخروف ، قالَ له أرْنوبُ : حسَنٌ .. أنت وما تُريدُ .. هيّا لِنَبْدأ العِلاجَ ..

ثم أشارَ إلى حُفْرةٍ عميقةٍ فى الأرْض قائلاً : تعالَ واجْلِسْ مُتَرَبِّعًا فى هذه الحُفْرةِ ، ولا تتحرَّكْ منْ مكانِك قبْلَ أنْ يَتِمَّ العِلاجُ ..

فأطاعَهُ تعْلوبُ ، وجلسَ مُتَرَبِّعًا فى الحفْرة ، وحَملَ أرْنوبُ جِلْدَ الْخروفِ وشدَّهُ على رأْسِهِ كالطَّاقيَّةِ مُغَطِّيًا وجْهَه بكامِلِهِ ..

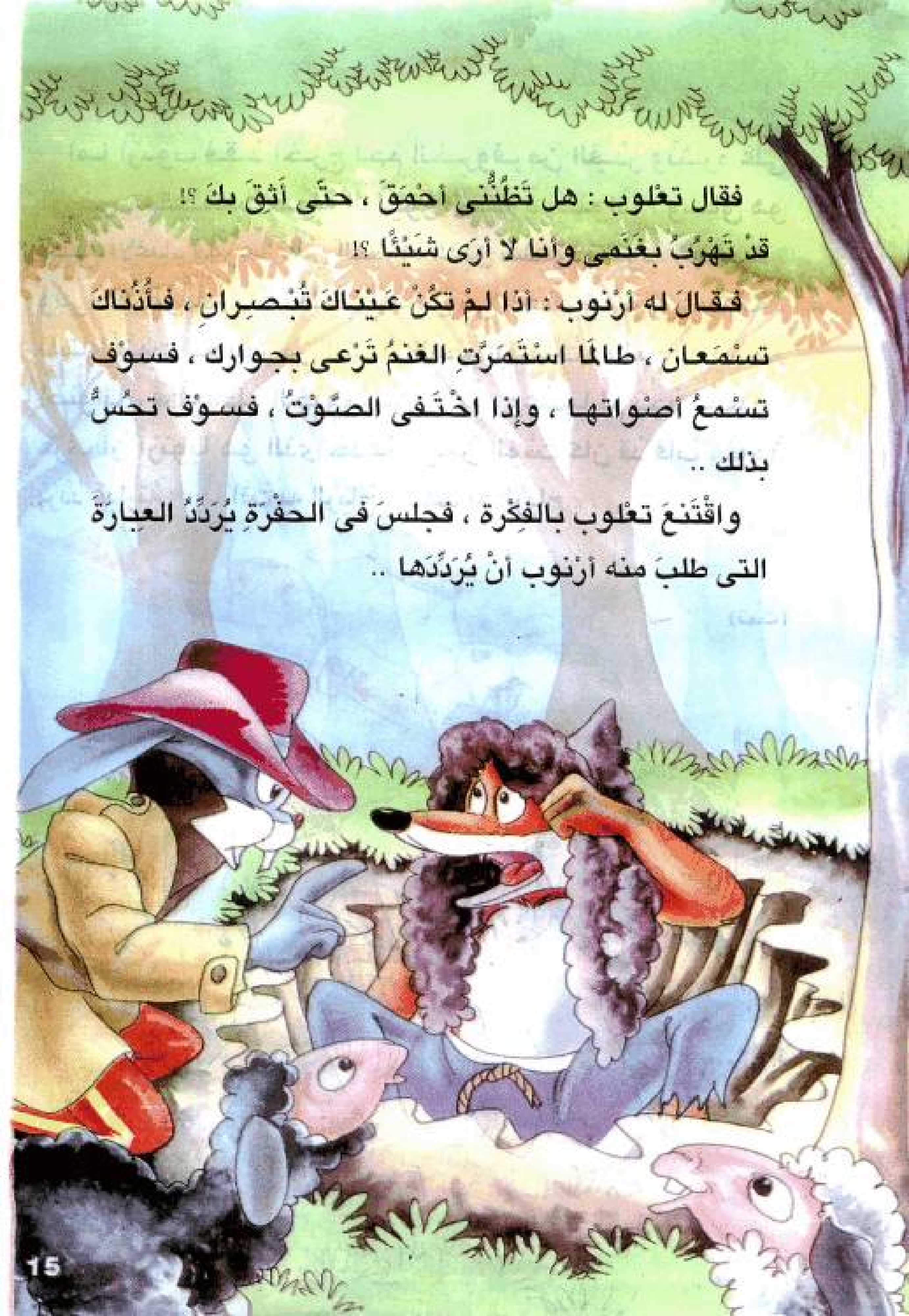


صاحَ تعْلوبٌ غاضبًا : ما هذا !! إننى أختَنِقُ ..

فنهَرَهُ أرنوبٌ قائلاً : اصْبِرْ قليلاً يا سَيِّدى وردِّدْ هذه العِبارةَ بصَوْتٍ مُرْتفع : « ما أتَتْ بهِ الرِّياحُ ، تَذْهَبُ بهِ الرِّياحُ » . إذا كرَّرْتَ هذه العِبارةَ سَبْعينَ ألفَ مَرَّةٍ ، فسَوْفَ تُشْفَى بَعْدَها تمامًا ، وإيَّاكَ أنْ تُخْطِئَ فى الحِسَابِ ..

فقفزَ تعْلوبٌ منَ الحفْرَةِ صائحًا : ومَنْ يَرْعَى غَنَمى ؟!

فقال أرنوب : اطْمئنَّ سوْفَ أرْعاهَا لكَ ..

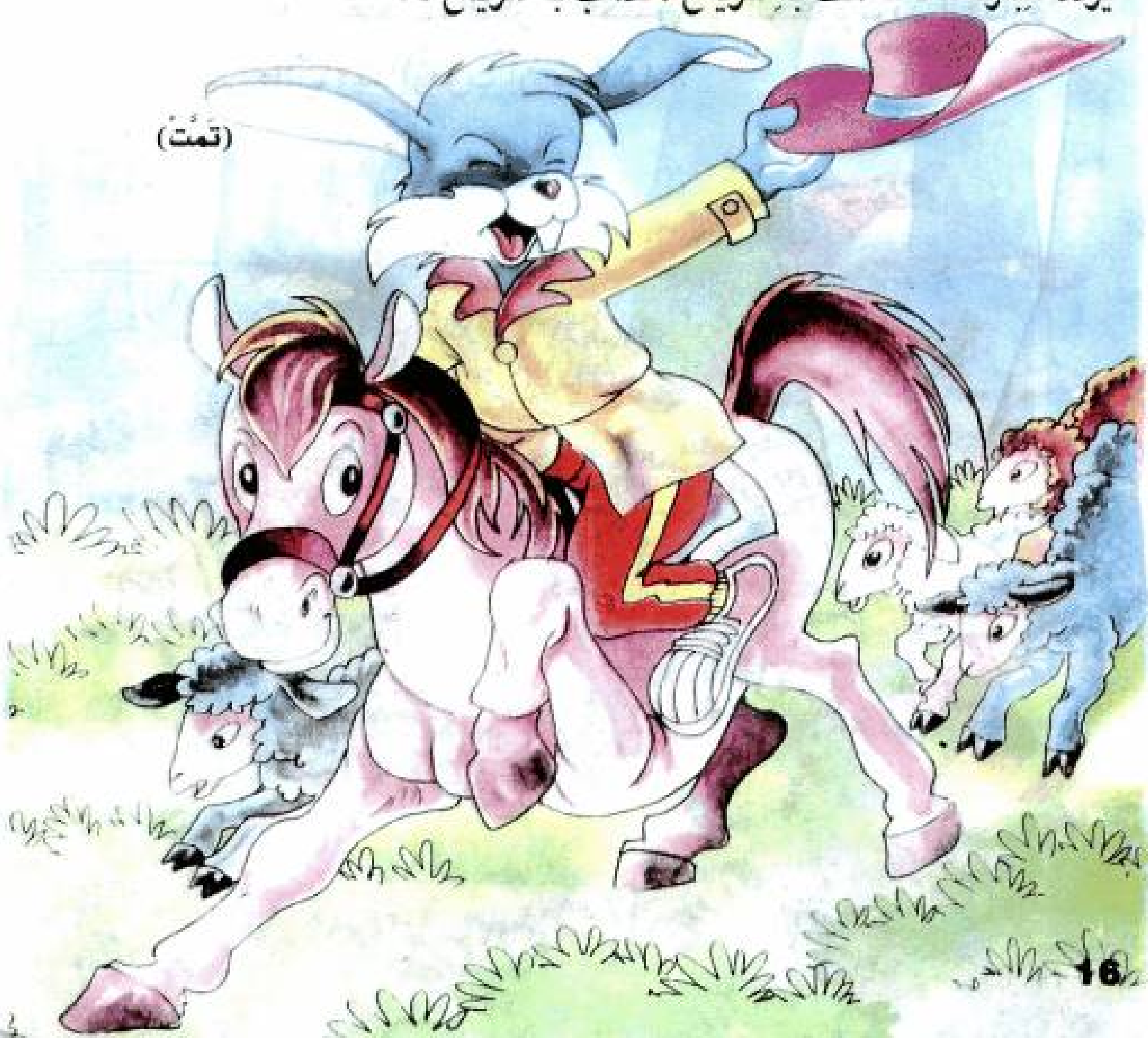


فقال تعْلوبِ : هل تَظُنُّنى أحْمَقَ ، حتَى أثِقَ بكَ ؟!
قدْ تَهْرُبُ بغنَمى وأنا لا أرَى شَيْئًا ؟!

فـقـالَ له أرْنوبِ : اذا لَمْ تكُنْ عَيْناكَ تُبْـصِرانِ ، فـأُذُناكَ تسْمَعان ، طالمَا اسْتَمرَّتِ الغنَمُ ترْعى بِجوارك ، فسوْف تسْمعُ أصْواتها ، وإذا اخْـتَـفى الصَّوْتُ ، فسوْف تحُسُّ بذلك ..

واقْتَنعَ تعْلوبِ بالفِكْرة ، فجلسَ فى الحفْرَةِ يُرَدِّدُ العبارَةَ التى طلبَ منه أرْنوب أنْ يُرَدِّدَها ..

أما أرْنوب فقدْ أخْرجَ لحْمَ الخروفِ منَ القِدْرِ ونَثَرهُ على الأرْض ، فتَجَمَّعتْ حولهُ الطُّيورُ مُصْدِرةً أصْواتًا ، وساق هو قطيعَ الأغْنام فوزَّعهُ على الفُقراءِ الذينَ سلَبَهُمْ تعْلوب أغْنامَهمْ ، وفي ذلكَ الوقْتِ كان تعْلوب يَجْلسُ في الحُفْرةِ مُكرِّرًا عبارَتَهُ ، فلمّا انْتَهتِ الطُّيورُ منَ الْتِهام اللَّحْمِ ابتعَدَتْ ، فلمْ يَعُدْ يسْمعُ أصْواتًا ، فرفَعَ جِلْدَ الخروفِ عنْ رأسِهِ ، وعِنْدمَا لم يَجِدْ أغْنَامَهُ ، عَرَف أنَّ أرْنوبًا هو الذى خدَعَهُ ، ولكنَّ الوقْتَ كانَ قدْ فاتَ ، فأخذَ يُرَدِّدُ عِبارتَهُ : « ما أتَتْ بهِ الرِّياحُ ، تذهَبُ به الرِّياح » .



(تمّتْ)